



الأحد 17 مايو 2015 12:05 م

## د/ فتحي أبو الورد

لا تكاد تجد تقديراً للعلم واحترافاً بقيمته وقدره مثلما تجد ذلك في الإسلام ، حيث يقرر صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم أن "طلب العلم فريضة على كل مسلم" . بل إنه يجعل من العلم طريقاً للجنة : "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة" . , ويجعل العالم والمتعلم شريكين في الأجر: "العالم والمتعلم شريكان في الأجر", وجعل الهدف من بعثته التعليم فقال: "إنما بعثت معلماً" , وجعل الله تعالى أتقى طبقة من الناس له هم العلماء ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) .

ولم يرد نص شرعي يحدد أن هناك علوماً محظورة ، بل نصوص الإسلام في مجموعها تؤكد على أن كل علم ينتهي بنا إلى مصالح دينية أو دنيوية فهو مطلوب شرعاً ، وهو حق مشاع للناس جميعاً ، الإناث والذكور على حد سواء ، وليس لأحد مزية على آخر في هذا الصدد إلا بمقدار ما يحقق من نتائج ، وما يقدم من آثار .

لقد دعا الإسلام إلى حرية التعلم ، وكفل لكل فرد تؤهله قدراته ومؤهلاته أن يخوض غمار المجال العلمي الذي يهواه ، ويغلب على ظنه أن يحقق فيه نفعاً ، وإفادة مرغوبة .

ولذلك لم يشترط الأصوليون أن يكون المجتهد ذكراً ، بل الباب مفتوح للذكور والإناث على حد سواء ، "وفى ذلك فليتنافس المتنافسون" ، " وأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء" .

والتاريخ يحدثنا عن فقيهاً ومحدثات عظيمات ، رغم أن المجتمع قديماً لم يكن يهتم بتعليم المرأة اهتمامه بتعليم الرجل لاعتبارات كثيرة ، منها عدم وجود معاهد علمية بالمفهوم المعاصر ، وصعوبة خروج المرأة لطلب العلم وحدها دون محرم خارج بلدها ، ويذكر التاريخ نماذج مشرقة لبعضهن ، من هؤلاء فاطمة ابنة علاء الدين السمرقندي ، وأبوها أحد كبار علماء الأحناف ، وكانت هي من الفقيهات الورعات ، أخذت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون ، وكان لها حلقة للتدريس ، وكان لأبيها كتاب يسمى " تحفة الفقهاء " فحفظت التحفة ، وكان له تلميذ يسمى "علاء الدين الكاساني" ، برع في علم الأصول والفروع ، وشرح تحفته في كتاب سماه " بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع " وعرضه على شيعته ، فازداد فرحاً به ، وزوجه ابنته ، وجعل مهرها ذلك الكتاب ، فقال الفقهاء في عصره: شرح تحفته وزوجه ابنته وكان زوجها يخطئ فترده إلى الصواب ، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها - توقيعها - وخط أبيها قبل زواجها ، فلما تزوجت كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها ، أشبه ما تكون بفتوى جماعية ، أو ما يسمى في عصرنا بالاجتهاد الجماعي . ومنهن كريمة بنت أحمد بن محمد المروزي التي توفيت سنة 463 هـ ، كانت ركناً ركيناً للحديث ، ويحضر دروسها العلماء الكبار كالمحدث الخطيب البغدادي ، والمحدث السمعاني جاورت بمكة ، وروت صحيح البخاري عن الكشميهني حتى أن محدث مدينة هراة بأفغانستان (أبا ذر رحمة الله) قد وصى طلابه أن لا يأخذوا الجامع الصحيح إلا عنها ، وقد قيل : إن روايتها أصح روايات البخاري . وقال الشيخ عطية سالم رحمه الله: قد رأيت بنفسني وأنا مدرس بالأحساء نسخة لسنن أبي داود عند آل المبارك وعليها تعليق لأخت صلاح الأيوبي .

وفى صحراء إفريقية وفى شنقيط ( مدينة في موريتانيا ) تحديداً ، جاءت الأخبار أن الشيخ المختار الكنتي الشهير ، ختم مختصر خليل ( متن أصيل لدى المالكية ) للرجال ، وختمته زوجته في جهة أخرى للنساء [ وقد زرت الشيخ أيمن سويد في بيته بجدة في عام 2002 ، وعلمت أن زوجته مجازة بالقراءات العشر ، وهو يجيز الرجال ، وهي تجيز النساء .

وليس هنالك من نص شرعي يحجر على علم ، أو يضيّق بآخ ، غاية ما هنالك ألا يخرج ذلك العلم عن الحكمة إلى العبث ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الإعمار إلى التخریب ، فإن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد - كما يقول ابن القيم - ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل .

ولم يعرف المسلمون الدعوة إلى دراسة العلوم الشرعية ، وإهمال العلوم التجريبية ، بل دعوا إلى وجود من يقوم بفرض الكفاية عن الأمة في كليهما ، وكان لعلمائنا في كل منهما نصيب كبير ، حتى إن بعضهم جمع بين العلوم الشرعية وعلم الطب في زمانه ، وقد قيل في ترجمة الإمام ابن رشد الحفيد : كان يفزع إليه في الطب كما يفزع إليه في الفتوى في الفقه ، وله في الفقه كتاب "بداية المحدث

